بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

الله جلَّ جلاله منعنا من أن نحبَّ الدنيا، حتى لا يكون مانعاً لتوجُّهنا إلى الآخرة وإلى الشريعة والسنة النبوية عليه الصلاة والسلام، لأنَّ هذه الدنيا لا تدوم لأحد، نحن كلُّنا مسافرون، الذي يتفكَّر في الاستقبال وبما يحصل من الضيق من تعلُّقه بالدنيا وإهماله الآخرة تحصل له الندامة.

حقُّ المؤمن أن لا يتعلَّق بالدنيا المانعة من التوجُّه إلى الآخرة، فيكون ذلك سببَ ندامتنا وحسرتنا بعد الموت. وعلى هذا قال ربُّنا جلَّ وعلا خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم﴾ أي اذكر يا أكمل الرسل للمائلين إلى الدنيا ومزخرفاتها ومستلذاتها الفانية الغير القارَّة، المستتبِعة المستعقِبة لأنواع الآثام والعصيان، المستلزِمة لغضب الله تعالى وسخطه جلَّ وعلا، ومثِّل لهم ﴿مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ وانقضائها وفنائها سريعاً ﴿كَمَآءٍ﴾ أي مثل ماء ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ﴾ جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ إظهاراً لكمال قدرتنا وعجائب صنعتنا وبدائع حكمتنا ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾ أي تكاثف وغلظ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وصار في كمال الطراوة والنضارة والحسن والبهاء، إلى حيث تعجب منها أبصار أولي الألباب والاعتبار، ثم يبس من حرِّ الشمس وبرد الهواء ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا﴾ مهشوماً متفرِّقَ الأوراق متفتِّتَ الأجزاء إلى حيث ﴿تَذۡرُوهُ﴾ أي تثيره وتطيره ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ كيف يشاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ القادر المقتدر بالقدرة الكاملة التامة ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من مقدوراته ومراداته ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾ كاملاً بحيث لا تنتهي قدرته لدى المراد، بل له التصرُّف فيه على ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومتى سمعت وعلمت حال حياة الدنيا، ومآل أمرها وعاقبتها، وانكشفتَ بعدم ثباتها وقرارها، فمعظم ما يتفرَّع عليها كذلك ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ إذ هما ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الفانية، عارضان عليها، ومتى لم يكن للمعروض دوامٌ وبقاء، فللعارض بالطريق الأولى.

نرجو الله تعالى جلَّ جلاله أن نعتبر باعتقادنا بإيماننا بفناء هذه الدنيا، وأن نجعل بقاءنا في الدنيا موافقاً لأمر الله واتِّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ بفضله وكرمه تبقى معنا في أولانا وأخرانا، والمقرِّبةُ إلى الله تعالى، المقبولةُ عنده، المترتِّبةُ عليها النجاةُ من العذاب، والنيل إلى الفوز بالفلاح ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي أجراً وجزاء حسناً ومن اللذات الروحانية المودَعة لأرباب القبول ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي عاقبة ومآلاً، إذ يُنال بها المعارف والحقائق والمكاشفات والمشاهدات المودَعة لأرباب العناية وأصحاب القلوب من الراجين المؤمِّلين شرف لقاء الله والفوز بمطالعة وجهه الكريم جلَّ جلاله.

اللهمَّ ارزقنا من لطفك الكريم أن لا ننحرف عن الاستقامة، ولا نغرَّ بالدنيا، حينذاك إن شاء الله لا تحصل لنا الخسارة والحرمان.

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

ـ هذا ما أملاه عليَّ العارف بالله المربي، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به. آمين.

يوم الأحد : ٢٠ / صفر / ١٤٣٣ هـ

الموافق: ١٥/ كانون الثاني / ٢٠١٢م

** ** **